الفكر المقاصدي النبوي تجاه قضايا الرأي العام

السيد محمد محمد عبد النبي

مدرس بقسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني:

Dr.elsayedabdelnabi@azhar.edu.eg

الفكر المقاصدي النبوي تجاه قضايا الرأي العام

السيد محمد محمد عبد النبي

قسم الثقافة الإسلامية ، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر

البريد الإلكتروني: Dr.elsayedabdelnabi@azhar.edu.eg

ملخص:

يهدف البحث إلى بيان كيفية تعامل النبي ﷺ مع القضايا التي أثيرت على عهده وشملت قاعدة عريضة من الناس وكونت رأياً عاماً، وإبراز الفكر المقاصدي النبوي خلال تناوله ﷺ لهذه القضايا. وتحقيقاً لهذا الهدف تناول البحث النقاط الآتية: التعريف بالفكر المقاصدي ومقوماته، التعريف بالرأي العام ووظائفه، والأسس المترتبة عليه، والمؤثرة فيه، وأقسام الرأي العام باعتبار الزمن(الدائم والمؤقت)، وخلص البحث إلى أن النبي ﷺ لا يتعامل مع ظاهرة الرأي العام من منطلق الترضية لأصحاب الرأي فحسب أو المصلحة الشخصية لفئة معينة، إنما من منطلق الوحي الإلهي والبلاغ عن الله عز وجل، وربى النبي أصحابه وأبان للدعاة بفكره المقاصدي تقرير مبادئ هي: الخلاف في الفروع حكمة ربانية وتشريعية، واحترام المعارضة النزيهة التي تخدم المصلحة العامة، والتصريح بالرأي والتشاور وإلزام العمل بالمشورة بعد الفصل فيها، إقامة الحدود بالبينة الظاهرة، وتأليف القلوب بالعطاء أقرب طريق لقبول الدعوة وأمن المكر وإقامة المصلحة، وأهمية القدوة العملية في الأثر والتأسي، الثبات على الإيمان والطاعة لله ولرسوله ﷺ.

الكلمات المفتاحية: الفكر، المقاصد، النبي، قضايا، الرأي العام

Prophetic *Makasidi* (Objective) Reasoning towards Public Opinion Issues

El-Sayed Mohamed Mohamed Abd el-Nabi

Assistant Professor in the Islamic Culture Department, Faculty of Islamic Dawa, Al-Azhar University, Cairo, Egypt

Email: Dr.elsayedabdelnabi@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to show how the Prophe dealt with the issues raised during his reign and included a broad base of people and formed a public opinion, and to highlight the prophetic thinking of the Prophet during his handling ﷺ these issues. To achieve this goal, the research dealt with the following points: Definition of Makassed thought and its components, definition of public opinion and its functions, and the foundations and implications of it, and sections of public opinion as time (permanent and temporary), and concluded that the Prophet does not deal with the phenomenon of public opinion in terms of satisfaction For proponents only or the personal interest of a particular group, but in the spirit of divine revelation and reporting on God Almighty, and the Prophet raised his companions and the proponents of his preachers Makassed thought to determine the principles are: The statement of opinion and consultation and the obligation to work advice after the

adjudication, the establishment of boundaries with the apparent evidence, and the formation of hearts to give the earliest way to accept the invitation and the security of deception and the establishment of interest, and the importance of practical role model in the impact and despair, stability on faith and obedience to God and His Messenger.

Keywords: Thought, purposes, prophet, issues, public opinion

المقدمـــــــة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه ... **وبعـــد**؛؛؛

فيعتبر إبداء الرأي مظهراً مباشراً لوجود الجماعات الإنسانية الي تتخذ قوانين وسياسيات تسير عليها وفق نظامها الحكمي والإداري .

وبنشأة الوعي الفكري، واستناداً إلى الموروث الثقافي لدى الجماعة، تتخذ من وسائل التعبير وإبداء الرأي حول ما يثار من قضايا أكثر من زاوية، ويكوي الرأي الغالب للجماعة حينئذٍ رأياً عاماً له تأثيره على القوى السياسية والرقابة الاجتماعية في المحافظة على مجموعة القيم التي انتهجها المجتمع .

ومجتمع المدينة بعد هجرة النبي ﷺ اتسم بالصبغة المدنية، فجمع أفراد قاطنيه تحت مظلة المواطنة، ورئيس الدولة هو النبي ﷺ، ورسمت أصول الحكم من الحقوق والواجبات بين الراعي والرعية والتي منها مبدأ الأخذ بالمشورة وحرية التعبير عن الرأي في إطار المصلحة العامة. وإزاء هذا التعبير الجمعي لجماعة المواطنين (الرأي العام) كان الرسول ﷺ يتعامل معه حسب ما تقتضيه المصلحة. الدينية أو الدنيوية، انطلاقاً من زاويتين في شخصية النبي ﷺ:

أولاهما: أنه رسول الله مؤيد بالوحي الإلهي .

ثانيهما: أنه رئيس دولة يقرر المصلحة انطلاقاً من نظرته القيادية والسياسية .

وفي هذا البحث: أبين فكر النبي ﷺ المقاصدي في تعامله مع وقائع وأحداث غلب عليها طابع الرأي العام للجماعة، ومتى قدم النبي ﷺ رأيه استناداً إلى الوحي وقصداً للمصلحة التي غابت عن رؤية الجماهير، ثم تجلت لهم الحكمة منها بعد ذلك .

ومتى قدم النبي ﷺ رأي الجماعة تغليباً للمصلحة وتأليفاً للقلوب واعتباراً للرأي الجمعي، وذلك فيما ليس فيه توجيه سماوي فاصلٌ في الأمر .

مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في إبراز الدوافع الأساسية التي شكلت لدى جمهور الصحابة رأياً عاماً في بعض المواقف والأحداث، وكيفية تعامل النبي ﷺ مع الصحابة تجاه هذا الرأي، ومدى تنوع التناول النبوي للرأي العام قبولاً ورداً انطلاقاً من فكره المقاصدي ﷺ .

أهمية البحث:

تتحدد أهمية البحث في النقاط التالية:

١ . تناوله جزءاً أصيلاً من سيرة النبي ﷺ وصحبه الكرام .

٢ . فاعلية قضايا الرأي العام وأثرها في مجريات الأحداث .

٣ . بيان كيفية التعامل النبوي تجاه قضايا الرأي العام .

٤ . أهمية استنباط الفكر المقاصدي النبوي في تناوله لكل قضية على حده .

أهـداف البحـــث:

يهدف البحث إلى:

١ . إبراز أوجه الاستفادة من منهجية النبي ﷺ في تعامله مع قضايا الرأي العام .

٢ . تفصيل الأسباب في اختلاف تناوله ﷺ لقضايا الرأي العام .

٣ . إبراز دور المعارضة النزيهة التي تخدم المصلحة العامة، وإلزام العمل بالمشورة .

٤ . تجلية المواقف المشرفة للصحابة الكرام في استجابتهم للرسول ﷺ .

٥ . تجلية الفكر المقاصدي للنبي تجاه قضايا الرأي العام .

٦ . بيان كيفية استفادة الدعاة من الفكر المقاصدي النبوية في تعاملهم مع الأحداث.

٧ . العمل على بلورة نظرية فكرية إسلامية في التعامل مع الوقائع والأحداث .

تسـاؤلات البحـــث:

يحاول البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

. ما المقصود بالفكر المقاصدي .

. ما مقومات الفكر المقاصدي .

. ما المقصود بالرأي العام .

. ما أهم القواعد التي تحكم تعريف الرأي العام .

. ما الأسس المرتبطة بالرأي العام والمؤثرة فيه .

. ما وظائف الرأي العام .

. ما مواقف الرأي العام التي نزل فيها الصحابة على رأي النبي ﷺ .

. ما مواقف الرأي العام التي نزل فيها النبي ﷺ على رأي أصحابه .

. ما الأسباب وراء تغاير التناول النبوي لقضايا الرأي العام .

. ما الدروس المستفادة من الفكر المقاصدي النبوي في مواقفه تجاه الرأي العام .

منهـــج البحـــث:

انتهجت في تناول هذا البحث منهجين:

الأول: **منهج الاستقراء**: وذلك بتتبع الأحداث والمواقف لاتي تبنى فيها الصحابة رأياً عاماً غلب عليهم في مسألة من مسائل الدين والحياة، بسرد الحدث، وتفصيل ملامحه، وإبراز الرأي الغالب، ثم بيان كيفية تعامل النبي ﷺ إزاء هذا الرأي بنفاذه أو برده .

الثاني: **منهج التحليل**: وذلك بتحليل الأسباب والدوافع وراء انتهاج الصحابة لكل رأي عام، ثم بتحليل معالجة النبي ﷺ لهذا الرأي وبيان الفكر المقاصدي للنبي ﷺ في تعامله لكل رأي من هذه الآراء .

الدراسات السابقة

من خلال البحث والاستقصاء حول ما كتب عن الفكر المقاصدى للنبي صلى الله عليه وسلم تجاه قضايا الرأي العام للصحب الكرام، أحد شيئا مكتوبا هذا الموضوع لكن هناك دراسات تراكمية في موضوع المقاصد ففهما وفكرا من ذلك:

١- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها اعلال الفاسي،دار الغرب الإسلامي الطبعة الخامسة١٩٩١م

٢- مقاصد الشريعة الإسلامية محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت١٣٩٣هـ) تحقيق محمد الحبيب بن الخواجه، وزارة الاوقاف والشئون الإسلامية قطر ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

٣- الفكر المقاصدي قواعده وفوائده د/ أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر والتوزيع ٢٠١٤م

كما أن هناك دراسات نرامية كثيرة جدا في موضوع الرأى العام من ذلك:

١- الرأى العام كيف يقاس وكيف يساس، د/ محمد عبد القادر حاتم/ مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الأولى ١٩٧١م

٢- الرأى العام بين الكلمة والمعتقد د/ جمال سلامة علي ، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع٢٠١٠م

٣- الرأى العام الأسس النظرية والجوانب المنهجية د/ سمير محمد حسين عالم الكتب ط الأولى ١٩٩٧م

خطة البحث:

وفيها مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة .

أما المقدمة: فتتناول مشكلة البحث، وأهمية البحث، وأهداف البحث، وتساؤلات البحث، ومنهج البحث، وخطة البحث .

المبحث الأول: الفكر المقاصدي ومقوماته وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الفكر المقاصدي

المطلب الثاني: مقومات الفكر المقاصدي

المبحث الثاني: الرأي العام ومقوماته وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الرأي العام

المطلب الثاني: مقومات الرأى العام

المبحث الثالث: الفكر المقاصدي في رد النبي ﷺ قضايا الرأي العام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تركه ﷺ قتل المنافقين بالمدينة .

المطلب الثاني: صلح الحديبية .

المطلب الثالث: توزيع الغنائم في حنين .

المبحث الرابع: الفكر المقاصدي في قبول النبي ﷺ قضايا الرأي العام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: غزوة أحد .

المطلب الثاني: لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة .

أما الخاتمة: فتتناول: أهم النتائج والتوصيات، مراجع البحث، والفهرست .

والله أسأل التوفيق والسداد؛؛؛

□

المبحث الأول

الفكر المقاصدي ومقوماتـــه

وفيه مطلبان

المطلب الأول :تعريـف الفكـــر المقاصدي

المطلب الثاني: مقومات الفكر المقاصدي

□

المبحث الأول

الفكر المقاصدي ومقوماتـــه

المطلب الأول :تعريـف الفكـــر:

الفكر لغة:

"ف ك ر" الفِكْرُ بالكسر تردُّدُ القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، وَلِي في الأمر فكرٌ أي نظرٌ ورَويّة والفَكْرُ بالفتح مصدر فكرت في الأمر من باب ضرب ... وجمع فكرة فِكَرٌ مثل سدرةٍ وسِدَر ويقال الفكرُ ترتيب أمورٍ في الذهن يِتُوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً [١].

والتفكر التأمل والاسم الفِكر والفِكرة والمصدر الفَكْرُ [٢] والفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الخاطر في الشيء؛ قال سيبويه: ولا يجمع الفِكرُ ولا العلم ولا النظر [٣] .

وفكر في الأمر: أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول، وأفكر في الأمر: فكر فيه فهو مفكر ... وافتكر: تذكر ... والتفكير: إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها، والفكر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول ...

والفكرة:الفكر والصورة الذهنية لأمر ما ... والفكير: الكثير التفكير[٤].

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ف ك ر، ج٢ ص ٤٧٩ .

(٢)مختار الصحاح، ف ك ر، ج١ ص ٢٤٢ .

(٣) لسان العرب، فصل: الفاء، ج٥ ص ٦٥ .

(٤) المعجم الوسيط، باب: الفاء، ص ٦٩٨ .

. وقد وردت مادة "فكر" في القرآن الكريم في عشرين موضعاً [١] ولكنها بصيغة الفعل، ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر .

الفكر في الاصطلاح:

يتوافق معنى الفكر اصطلاحاً مع ما ذكره أهل اللغة في التعريف .

فعند ابن منظور: هو : أعمال الخاطر في الشيء .

وفي المعجم الوسيط: هو أعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول .

. وعند الراغب الأصفهاني: "الفكرة قوة مُطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ... قال بعض الأدباء: الفكر مقلوب عن الفَرْك لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها"[٢] .

. وعند الجرجاني: "ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول" [٣] .

الفكر في المعاجم الحديثة:

عرفه جميل صليبا: "وجملة القول أن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية وهي النظر

(١) المعجم الفهرس لألفاظ القرن الكريم، مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، مادة: ف ك ر، ص ٦٦٧ .

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٩٠ .

(٣) كتاب التعريفات، باب: الفاء، ص ١٦٨ .

والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس" [١] .

كما عرفه طه جابر العلواني بأنه: "اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان سواء كان قلباً أو روحاً أو ذهناً، بالنظر والتدبر لطب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة أو الوصول إلى الإحكام أو النسب بين الأشياء" [٢] .

ومن ذلك يتبين أن إطلاقات الفكر يراد بها:

. عملية التفكير والنظر بالكيفية التي تنطلق من ملكات النفس وقوتها العقلية والنفسية .

. نتاج التفكير وهو الفكرة ذاتها (المعاني المجهولة) .

. وقد يتسع مفهوم الفكر فيشتمل على الموروث الفكري للإنسان في جميع ميادين العلوم النظرية والأنشطة التطبيقية (الثقافة بمفهومها الشامل) .

. وقد تضيق دائرة الفكر حتى تنحصر في مجرد النظر العقلي في أمر ما، فيكون الفكر عندئذٍ منسوباً إلى مبدأ أو مذهب أو طائفة أو عصر أو دين [٣] .

ويستفاد من التعريفات السابقة أن الفكر:

---

(١) المعجم الفلسفي، ج٢ ص١٥٦ .

(٢) الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات علاج، ص ٢٧ .

(٣)يراجع تعريف الفكر: سمير مثنى على الأبارة شبكة الألوكة الثقافية، ٢٠١٦/١٠/٢٩م، https://www.alukah.net/culture/0/108911/

١ . إعمال النظر والتأمل في مجموعة من المعارف بهدف الوصول إلى تحقيق معرفة جديدة .

٢ . الثمرة التي تنتج من عملية التفكير .

٣ . عملية تستخدم فيها كل الوسائل المساعدة للوصول إلى الحقيقة .

٤ . ينطلق من مجموعة المعارف والأيدولوجيات النظرية، والتطبيقية والموروث الثقافي والديني والأخلاقي .

تعريف المقاصد:

لغـــة:القاف والصادر والدال أصولٌ ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأمّه، والآخر على اكتناز في الشيء، فالأصل: قصدته قصداً ومقصداً .

ومن الباب: أقصده السهم إذا أصابه فقُتل مكانه [١].

والقصد: استقامة الطريق والاعتماد ... وضده الإفراط[٢] .

وقصد يقصد قصداً فهو قاصد، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾[٣] أي على الله تبيين الطريق المستقيم ... والقصد: العدل [٤] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ج ٥ ص ٩٥ .

(٢) القاموس المحيط، فصل: القاف، ج١ ص ٣١٠ .

(٣) سورة النحل، جزء من الآية (٩) .

(٤) لسان العرب، فصل: القاف، ج٣ ص ٣٥٣ .

والقصد: بين الإسراف والتقتير [١] .

والقاصد من الأسفار: السهل، والمقصِد: موضع القصد .

والمقصّد: الوجهة، والاقتصاد: علم يبحث في الظواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع [٢] .

وعلى هذا فيراد بمادة (ق . ص . د) في اللسان ما يلي:

أ . الاستقامة والاعتدال، وفق قوله تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٤] .

ب . التوجه نحو الشيء والإتيان والأم والإصابة، ومنه: قصدت قصده، أي نحوت نحوه، وأقصد السهم، أصاب وقتل مكانه .

جـ . الاكتناز والامتلاء .. تقول العرب ناقة قصيد: أي مكتنزة .

د . العدل والوسط .

هـ . السهولة ... ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَفَرٗا قَاصِدٗا ﴾[٥] .

تعريف المقاصد اصطلاحاً:

لم يكن عند العلماء الأول تعريف خاص للمقاصد، ولكن عبروا عنها بألفاظ دلت في معناها على مراعاة المقاصد الشرعية منها: الأمور

---

(١) الصحاح في اللغة، ج٢ ص ٥٢٥ .

(٢) المعجم الوسيط، باب: القاف، ص ٧٣٨ .

(٣) سورة لقمان، جزء من الآية (١٩) .

(٤) سورة النحل، جزء من الآية (٩) .

(٥) سورة التوبة، جزء من الآية (٤٢) .

بمقاصدها، مراد الشارع، أسرار الشريعة، العلل الجزئية للأحكام الفقهية، المنفعة، رفع الحرج وغير ذلك من المصطلحات الفقهية التي أبان بها الفقهاء مراعاة الشريعة لمصالح العباد .

وممن تناول مصطلح المقاصد من المعاصرين:

١ . ابن عاشور: مقاصد الشريعة: "هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها" [١] .

٢ . علال الفاسي: المراد بمقاصد الشريعة: "الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها" [٢] .

وقد صرح الدكتور/ أحمد الريسوني بأن تعريفه للمقاصد مبني على التعريفين السابقين إذ قال: "وبناءً على هذه التعريفات والتوضيحات لمقاصد الشريعة لكل من ابن عاشور وعلال الفاسي، وبناءً على مختلف الاستعمالات والبيانات الواردة عند العلماء الذين تحدثوا عن موضوع المقاصد، يمكن القول: إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد" [٣] .

"مما لا غنى لهم عنها، بحيث لو اختلفت أو تعطلت كلها أو بعضها لاختل نظام صلتهم واضطربت أحوالهم وانتشر الفساد وعمت الفوضى، ولما تمثله من ضرورة للناس فقد روعيت في كل ملة" [٤] .

([١]) مقاصد الشريعة، لابن عاشور، ص ٢٥١ .

([٢]) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، د/ علال الفاسي، ص ٣ .

([٣]) الفكر المقاصدي، قواعده وفوائده، د/ أحمد الريسوني، ص ١٣٠ .

([٤]) مقاصد الشريعة الإسلامية، أ.د/ محمود بلال مهران، أحد بحوث موسوعة التشريع الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، ص ٦٢٠، القاهرة،

تعريـف الفكر المقاصـــدي:

يقول الدكتور/ الريسوني: "فإن كل ما يقدم في تعريف مقاصد الشريعة يمهد لمعرفة المراد بالفكر المقاصدي ويسهل بيان خصائصه ومميزاته ... باعتباره فكراً متشبعاً بمعرفة ما تقدم وغيره من معاني مقاصد الشريعة وأسسها ومضامينها من حيث الاطلاع والفهم والاستيعاب" [١] .

بل إنه فوق ذلك هو الذي آمن واستقين مقصدية الشريعة في كلياتها وجزئياتها وأن لكل تكليف مقصده أو مقاصده [٢] .

وقد خلص الدكتور/ الريسوني إلى أن: "الفكر المقاصدي هو الفكر المتبصر بالمقاصد المعتمد على قواعدها المستثمر لفوائدها" [٣] .

فالفكر المقاصدي هو الأسس الناظمة للمقاصد، والقواعد التي تبنى وترتكز عليها مقاصد التشريع .

وهو الذي يرتبط بالواقع المعاش ويراعي المصلحة، ويفسر النصوص الشرعية تفسيراً تعليلياً غائباً مستخرجاً العلة والمصلحة التي يحصلها المكلف جراء قيامه بهذا التكليف، كما يوازن بين النصوص ويرجح معنى من المعاني التي تتزاحم على نص من النصوص حسب المصلحة .

١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م .

(١) الفكر المقاصدي، قواعده وفوائده، ص ٣٤ .

(٢) السابق، ص ٣٤ .

(٣) السابق: ص ٣٥ .

كما يلحظ السنن الإلهية في الكون ويربط بين السبب والمسبب وبين العلة والأثر، ويراعي مصلحة الناس وتغير الزمان والمكان [1] .

ومن ذلك يتضح أن الفكر المقاصدي ضرورة شرعية وضمان لحماية الدين ثوابته وقطعياته وإبراز محاسن التشريع الإسلامي .

الفكر المقاصدي النبوي:

فالفكر المقاصدي بكل ما يراعى فيه من قواعد وضوابط إذا أضيف إلى النبي ﷺ وهو المعصوم بالوحي الإلهي يمكن القول بأنه: فكر النبي ﷺ المستنير بنور الوحي الإلهي المتبصر بالمقاصد الشرعية لتحقيق غاياتها لمصلحة الفرد والجماعة، ونشر الإسلام والمحافظة عليه .

□

(1) يراجع باختصار: ما الفكر المقاصدي: طارق يوسف المحيميد، www.feqhweb.com/vb/showthread.php?t=7638، الشبكة الفقهية ١٠/١١/٢٠٠٥م .

المطلب الثاني : مقومات الفكر المقاصدي:

يقوم الفكر المقاصدي علي ثلاث مقومات أساسية هي:

١ ـ تعلق الفكر المقاصدي بفقه النص:

لما كانت أحكام الشريعة راجعة إلى النصوص، ولما كانت الشريعة مبنية على تحقيق مصالح الناس، فيمكن القول أن النصوص الشرعية إنما جاءت لتحقيق المصالح، واستنباط الأحكام والفتاوى من النصوص الشرعية إنما هي لمصلحة الناس سواء أخذت هذه الأحكام من النصوص الجزئية أو من روحها أو مقاصدها العامة .

وهذا عمل المجتهد الذي يتجاوز نظره وفهمه منطوق النص إلى مفهومه وروحه ويتجاوز نظره أحوال الألفاظ إلى أحوال الناس، كما يعالج التعارض بين المصلحة والمفسدة، والتعارض بين الظاهر والمؤول، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، وبين الحقيقة والمجاز، ويدفع تعارض النص مع المصلحة بالترجيح أو الجمع ... فعمل المفكر المقاصدي لا يبنى على النص (اللفظ) فقط بل يتجاوزه إلى روحه ومعناه [١] .

٢ ـ ارتباط الفكر المقاصدي بفقه الواقع:

إن غاية تنزيل النصوص هو تحقيق المصالح التي جاءت من أجلها، ولاشك أن مصالح الناس تختلف باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، وهو ما يعني ضرورة فقه كل ذلك حتى يكون الحكم موافقاً للمقصود الشرعي منه، وهو ما يطلق عليه بفقه الواقع، بإشكالياته المعقدة والمركبة، وظروفه المتغيرة باستمرار" [٢]، لأن "الواقع ليس إلا مجموع الوقائع

---

(١) يراجع: حاجة المجتهد إلى الاجتهاد المقاصدي، د/ ماهر حامد محمد الحولي، ص ٥ .

(٢) الفكر المقاصدي، مفهومه وضرورته، ومقوماته، د/ عبد الصمد المساتي، منار الإسلام، ١٧

والجماعية، الخاصة والعامة، ومن ثم فإن فهم تلك الوقائع واستيعابها، وتبين طبيعتها وخصائصها، حتى يسهل تنزيل الحكم الشرعي عليها، وهذا هو الذي عبر عنه الأصوليون بتحقيق المناط الخاص والعام" [١] .

٣ ـ اعتبار الفكر المقاصدي للمآلات:

اعتبار المآلات مستقل نسبياً عن فقه الواقع واعتبار الأحوال، ذلك أن اعتبار المآلات إنما يقوم على توقع مآل راجح انطلاقاً من حال معينة بالنظر إلى العلاقات التي تتحصل تلقائياً بين المقدمات ونتائجها بحكم الشرع أو العقل أو العرف [٢]، ذلك أن "المسببات هي مآلات الأسباب، فاعتبارها في جريان الأسباب مطلوب، وهو معنى النظر في المآلات" [٣] .

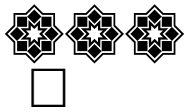

مايو ٢٠١٨م، Islamanar.com/archives/912 .

(١) الاجتهاد المقاصدي، حجيته، ضوابطه، مجالاته: نور الدين بن مختار الخادمي، ج ٢ ص ٦٨.

(٢) الفكر المقاصدي، مفهومه، وضرورته، ومقوماته .

(٣)ينظر: الموافقات، للشاطبي، مج ٢ ج ٤ ص ١٤١.

المبحث الثانـي

الرأي العام ومقوماتـــه وفيه مطلبان

المطلب الأولي: تعريـف الرأي العـام:

المطلب الثاني: مقومات الرأى العام

المبحث الثانـي

الرأي العام ومقوماتـــه

تعريـف الرأي العـام:

الرأي لغة: الاعتقاد والعقل والتدبير والنظر والتأمل .

وعنـد الأصوليين: استنباط الأحكام الشرعية في صور قواعد مقررة، والجمع آراء [١] .

العام لغة: الشامل وخلاف الخاص، والعامة من الناس: خلاف الخاصة، والأعم: الجمع الكثير من الناس[٢]، على هذا فإن وصف الرأي بأنه عام يشير إلى الشمول الناشئ عن وجود الجماعة من الناس الذين يتعلق بهم الرأي العام .

على الرغم من اتفاق رجال السياسة والاجتماع والاقتصاد وعلم النفس الاجتماعي بأهمية الرأي العام، فإنهم قد اختلفوا حول تعريفه وإيجاد تعريف محدد ودقيق لهذا المصطلح [٣] .

ويرجع السبب في عدم اتفاق الباحثين على مفهوم الرأي العام إلى عوامل كثيرة منها[٤]:

أ . أن الرأي العام من الصعب وصفه ومن المستحيل رؤيته ومن غير الميسور قياسه .

---

(١) المعجم الوسيط، ص ٣٢٠ .

(٢) المعجم الوسيط، ص ٦٢٩ .

(٣) الرأي العام، مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة، د/ سعيد سراج، ص ٣ .

(٤) أساسيات الرأي العام، د/ مُحَمَّد منير حجاب، ص ١٢، ١٣ .

ب . اختلاف النظرة للرأي العام تبعاً لاختلاف تخصصات الباحثين .

جـ . التباين في وجهات النظر الاجتماعية والسياسية تجاه الشعوب ومدى الإيمان بدورها الحقيقي في المشاركة .

د . اختلاف الفكر والعقيدة والارتباط بأيديولوجيات مختلفة .

هـ . اختلاف اهتمامات الباحثين وتقديرهم لقيمة الرأي ورؤيتهم لحركته، فالبعض اعتبر الرأي هو الاتجاه وأخرون ينظرون إليه باعتباره حكماً أو سلوكاً .

و . الخلط بين الرأي العام والرأي النوعي أو بين رأي الأغلبية ورأي الصفوة المثقفة أو الطوائف الأخرى .

ز . التركيز على جوانب للرأي العام دون أخرى فبينما ركز بعض الباحثين على الطريقة التي تتكون بها آراء الأفراد، ركز أخرون على نوعية الآراء التي يتم التعبير عنها أو على قوة الآراء أو على مدى تأثير الآراء أو أي خصائص أخرى .

تعريـف الرأي العام:

تعددت التعريفات حول مفهوم الرأي العام وقد ارتأيت تعريفاً شاملاً يجمع كل جوانب الرأي العام للدكتوره/ شاهيناز طلعت: "الرأي العام في مجتمع ما هو خلاصة آراء مجموعة من الناس، أو الرأي الغالب، أو الاعتقاد السائد، أو إجماع الآراء، أو الاتفاق الجماعي لدى أغلبية فئات الشعب أو الجمهور تجاه أمر ما أو ظاهرة أو موضوع أو قضية من القضايا الجدلية الخلافية قد تكون اجتماعية، أو ثقافية، أو

اقتصادية، أو سياسية، أو تربوية، أو فنية، كما قد تكون ذات طابع محلي أو وطني أو إقليمي أو دولي، وأن تكون ذات أهمية لدى معظم أفراد الجمهور ويثور حولها الجدل، ويكون لهذا الإجماع قوة وتأثير على القضية، أو الموضوع الذي يتعلق به"[1] .

أهم القواعد التي تحكم تعريف الرأي العام[2]:

- **الرأي هو الموقف الاختياري الذي يتخذه الفرد إزاء مسألة أو قضية متنازع عليها قابلة للجدل .**
- **الجماعة شيء والجمهور شيء آخر، فالجماعة أقل من الجمهور فضلاً عن أنها لا تشكل رأياً عاماً جماهيرياً .**
- **يشترط لقيام الرأي الشعبي أن تكون كل الجماعات منطوية داخل الجمهور الواحد .**
- **الرأي الخاص شيء والقيم والمعتقدات والعادات المستقرة راسخة الجذور شيء آخر .**
- **الرأي العام هو جماع الآراء التي هي مواقف يتخذها الأفراد إزاء مسألة معينة أو قضية متنازع عليها قابلة للجدل .**
- **الآراء التي تفرضها التنظيمات والهيئات ذات السلطة على**

---

(1) الرأي العام، د/ شاهيناز طلعت، ص ١٧٠، ١٧١ .

(2) الرأي العام: كيف يقاس، كيف يساس، د/ مُحَمَّد عبد القادر حاتم، ص ٤٩ وما بعدها باختصار، وانظر: الرأي العام، الأسس النظرية والجوانب المنهجية، د/ سمير مُحَمَّد حسين، ص ٢٤ . ٢٦ .

الأفراد قهراً لا تشكل رأياً عاماً .

- **الرأي العام الذي يتولد نتيجة للإثارة والتهييج المتعمدين في ظرف معين لا يدوم طويلاً لأنه يشكل عدوى رأي وليس موقف رأي .**
- **الرأي العام شيء ووسائل تصوير الرأي العام شيء آخر، ويجب تحاشي الخطأ الشائع في وصف وسائل الإعلام بأنها رأي عام .**
- **ينتج الرأي العام عن اختيار بين البدائل أو رفضها كلها فهناك رأي عام إيجابي ورأي عام سلبي .**
- **التوافق الناتج عن القهر والاستبداد لا يشكل رأياً عاماً، بل هو انصياع للسطوة.**
- **الرأي العام حصيلة معرفة الفرد، فكلما كانت معرفته عميقة وحرة ، كان رأيه انتقائياً وحراً .**
- **الرأي العام ليس رأي شعب بأكمله، بل يصح أن نعتبره رأي طبقة لها الغالبية والقوة بين طبقات الشعب كلها.**

عناصر الرأي العـــام[1]:

يتكون الرأي العام في المجتمع سواء كان على مستوى بيئة عمل أو دولة من مجموعة من العناصر:

---

(1) مفهوم الرأي العام، مجد خضر، موضوع أكبر موقع عربي بالعالم ٢٠١٦/٤/١٠م، https://mawdoo3.com/

وانظر: مدخل إلى الإعلام والرأي العام، د/ مُحَمَّد عبد الملك المتوكل، ص١١٨ .

أ ـ الأفراد: وهم العنصر الفعال والمهم من عناصر الرأي العام، وأن أي رأي عام مهما كانت طبيعته مرتبط ارتباطاً مباشراً بالأفراد الذين يسعون إلى تطبيقه ضمن المجال الخاص فيه .

ب ـ الرأي المشترك: وهو الاتفاق على رأي واحد بين كافة الأفراد فيحرصون على الدفاع عنه، ونشره عند أشخاص آخرين .

ج ـ الأفكار والاتجاهات: وهي كافة التفاصيل التي يتكون فيها الرأي العام، والتي تعد بنوداً من البنود الخاصة به، والتي ينص تطبيقها على تطبيق الرأي العام .

د ـ التنفيذ الواقعي: وهو أن يصبح الرأي العام جزءاً من الواقع أي أن يمتلك دوراً أساسياً وحقيقياً ورسمياً في المجتمع

الأسس المرتبطة بالرأي العام[1]:

١ . الرأي العام هو مجموع آراء الناس ووجهة نظرهم في الحياة العامة .

٢ . الرأي العام فيه وجهات وتيارات مختلفة وأفكار متعددة ومنقسمة ولكل تيار حجته .

٣ . للرأي العام أثر في الحياة السياسية، ويترتب على اتجاه الرأي العام تطور الحياة الاجتماعية والجماعات وسير الحكومات في تشريعاتها وتصرفاتها .

---

(1) مذكرات في الرأي العام، تعريفه ومفاهيمه، أنواعه وخصائصه، مشكلات قياسه، بحوثه ومناهجه، د/ سمير مُحَمَّد حسين، ص ١١ .

٤ . يتميز الرأي العام بوجود درجة عالية من الحساسية فيه تجاه الأحداث الهامة.

٥ . يتأثر الرأي العام أيضاً بمؤثرات خارجية وعوامل ثقافية واقتصادية وتربوية وحياة الجماعة وموقف الفرد فيها .

٦ . الرأي العام ديناميكي أي دائم الحركة والتبدل والتطور .

٧ . الرأي العام هو الظاهرة الفكرية الناجمة عن الحشد الذهني للجماعات التي يترتب عليها أقوى العلاقات الاجتماعية والنفسية للفرد ثم الجماعة .

٨ . الرأي العام نتاج اجتماعي لعملية اتصال وتأثير متبادل بين عديد من الجماعات والأفراد في المجتمع .

العوامل المؤثرة في الرأي العام[١]:

. العامل الديني .

. الشائعات .

. الإعلام والدعاية .

. الأحداث والمشكلات .

. النسق السياسي .

. الثقافة .

(١) الرأي العام public opinion، مُحَمَّد تهامي، الموسوعة السياسية، https://political-encyclopedia.org/dictionary/ .

. العوامل النفسية .

. العوامل الفسيولوجية .

وظائـف الرأي العــام[1]:

١ . الرأي العام مرآة تنعكس من خلالها قيم المجتمع وسلوكيات أفراده، إذ إن الرأي العام سيرفض . بلا شك . أي تصرف لا أخلاقي يمكن أن يصدر من قبل أي فرد من أفراد المجتمع ويضعه في الدائرة الحمراء وبمعزل عن المجتمع .

٢ . دعم الهيئات والمنشآت الاجتماعية والاقتصادية، فالمنشأة التي لا يسندها الرأي العام يصعب عليها أن تحصل على الدعم المالي والأدبي الذي يؤيده الرأي العام .

٣ . دعم الجماهير معنوياً، والحفاظ على الروح المعنوية من الأدوار الرئيسة المنوطة بالرأي العام، فقد أظهرت نسبة كبيرة من الأبحاث أن الجماهير تعتنق بعض الآراء لأنها تعتقد ببساطة أنها تتفق مع رأي الأغلبية أو الرأي الشائع حتى لو كان غير صحيح .

٤ . مراقبة الحكام، حيث يقوم الرأي العام في العصر الحديث بمراقبة الحكام حيال القضايا المجتمعية الداخلية والخارجية من خلال المجالس التشريعية والنيابية ووسائل الإعلام المختلفة .

بين الرأي العام والاتجاه العام:

الاتجاه العام في حد ذاته لا يعدو كونه منطلقاً فكرياً أو دافعاً

(١) ينظر: الرأي العام الإلكتروني، د/ فتحي حسين عامر، ص ٢٢ ـ ٢٧ باختصار وتصرف .

سلوكياً للأفراد، ويشير الاتجاه العام إلى ما توارثه المجتمع من قيم اجتماعية (معتقدات، ميراث ثقافي وحضاري، عادات وتقاليد) تلك القيم و العوامل تعمل كموجه أو محفز للأفراد في أي مجتمع، وتسهم في نهاية الأمر في تحديد أو تكوين آراء الأفراد بصدد القضايا المتعددة (مختلفة كانت أم متشابهة) التي ترتبط باهتماماتهم ومصالحهم الرئيسية، إذن فالاتجاه العام هو مجرد ميل يعكس خلفية ثقافية ورصيداً قيمياً غالباً ما يستخدمه الفرد في تقديره وتقييمه للمواقف والأحداث المحيطة .

والاتجاه قد يكون مصدراً أساسياً للرأي، كما أنه يميل إلى الثبات النسبي والاستقرار، بينما الرأي العام متغير نسبياً وقد يقوم جزئياً على الاتجاه ويرتبط به[1] .

أقسام الرأي العام:

توجد أنواع متعددة للرأي العام يقسمها الباحثون بتقسيمات مختلفة طبقاً لمعايير متنوعة منها معيار النطاق الجغرافي، ومعيار الزمن، ومعيار درجة الظهور، ومعيار درجة الثبات، ومعيار الحركة، ومعيار عمق التأثير ونحو ذلك .

كما أن هناك بعض الباحثين لم يتقيدوا بهذه المعايير وأطلقوا مسمى للرأي العام حسب نوعه أيماّ كان .

وقد عنّ لي في بداية البحث تقسيم قضايا الرأي العام للصحابة

(1) الرأي العام بين الكلمة والمعتقد، د/ جمال سلامة علي، ص١٦ وانظر: الرأي العام، الأسس النظرية والجوانب المنهجية، د/ سمير مُحَمَّد حسين، ص ٢٤ .

باعتبار الزمن (الدائم، والمؤقت، والعفوي) ثم انثنيت عن الفكرة لاعتبارين:

الأول: أنه من الصعب قياس الرأي العام قياساً دقيقاً، كما أنه من غير الميسور تحديد البعد الزمني لكل قضية من قضايا الرأي العام في العهد النبوي، خاصة أن كل قضية تنتهي انتهاء سريعاً بانتهاء المعالجة النبوية لها .

الثاني: أن الأصل في تناول البحث هو التركيز على الفكر المقاصدي وإبراز الحِكَم في تنوع التناول النبوي لقضايا الرأي العام .

لذلك ارتأيت أن يكون التقسيم على أساس قبول النبي ﷺ للرأي العام تغليباً للمصلحة، أو رده للرأي العام وانفاذ رأيه مع التعليم والتفهيم كذا للمصلحة .

فيكون تقسيم البحث على النحو التالي:

. الفكر المقاصدي في رد النبي ﷺ قضايا الرأي العام .

. الفكر المقاصدي في قبول النبي ﷺ قضايا الرأي العام .

المبحث الثالث

الفكر المقاصدي في رد النبي ﷺ قضايا الرأي العام

المطلب الأول

تركه ﷺ قتل المنافقين بالمدينـــة

واجه الرسول ﷺ في المدينة إلى جانب عداء اليهود موقعاً جديداً لم يكن للمسلمين عهد به في مكة، وهو النفاق. ففي مكة كان الإسلام مغلوباً على أمره وكان المشركون أقوياء مستبدين يسيطرون على كل شيء ويحاربون المسلمين ويؤذونهم وجهاً لوجه، فلم يكن هناك مجال للنفاق والمراوغة .

أما في المدينة فقد أصبح للمسلمين دولة، ودخل كثير من أهلها في الإسلام وأصبح تيار المسلمين فيها كاسحاً غالباً، فلم يكن من السهل المجاهرة بالعداء للمسلمين وإبراز وجه الخصومة سافراً .

ومن هنا وجُد المنافقون الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر وأعلنوا الولاء والمساندة للمسلمين وأضمروا العداء والكيد لهم .

وكان على رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول الذي لم يفتح الإيمان قلبه ولم يصدق ويخلص لله ورسوله وظل أسيراً لشهوات نفسه وأحقادها وزعامته الفانية [1] .

قال ابن إسحاق: "قدم رسول الله ﷺ المدينة وسيد أهلها عبد الله بن أبي بن سلول ... لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل

(1) يراجع: التفسير الوسيط، ج١٤ ص ٣٩٨ .

غيره من أحد من الفريقين حتى جاء الإسلام، وكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملِّكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله ﷺ وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكاً، فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مصراً على نفاق وضغن [١].

وقد تزعم ابن سلوب جبهة المنافقين الذين ظلوا يبثون الإشاعات والأراجيف بين المسلمين وكانوا خطراً وأي خطر على هذا المجتمع الجديد الناشئ مما جعل الرسول ﷺوالمسلمين منهم على حذر دائم لأنهم أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من الأعداء المحاربين .

وقد بلغ عددهم في المدينة ما يقارب ثلاثمائة وسبعين رجلاً وامرأة، معظمهم من أهل الكتاب الذين يضمرون العداوة للإسلام، بعضهم من الأوس والخزرج، وبعضهم من أحبار اليهود، وفريق منهم الأعراب المجاورين للمدينة [٢].

وقد فضح القرآن الكريم أساليب المنافقين في بث الفتنة ونشر الأراجيف وتخذيل المنافقين في الحرب ومنها غزوة الأحزاب التي انسحب منها المنافقون، وقد صور القرآن الكريم ذلك في سورة الأحزاب في ثماني آيات .

قال

(١) الروض الأنف، السهيلي، ج٣ ص ٨، نبذ من ذكر المنافقين ؟

(٢) المنافقون في المدينة، أسامة بدوي ٢٠١٧/٢/٣م، شبكة الألوكة الشرعية، https://www.alukah.net/sharia/0/111995/

تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾[1] .

كما نزلت سورة المنافقون فيهم كاملة، والآيات من سورة الحشر، قال تعالى:

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ

(1) سورة الأحزاب، الآيات (١٣ ـ ٢٠) .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[1] .

وفي سورة النور في بيان حادثة الإفك من قولهـ تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى

([1]) سورة الحشر، الآيات (١١- ١٧) .

﴿ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾[1] .

كما نزلت آيات أخرى من القرآن تفضح أفعالهم ونواياهم السيئة وتحذر الرسول منهم.

والحق أنه لا تكاد تخلو سورة من السور المدنية من الحديث عن المنافقين وعن سوء أخلاقهم ووجوب ابتعاد المؤمنين عنهم .

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل قتل ابن سلول ومن تبعه من المنافقين كان رأياً عاماً طلبه المسلمون من رسول الله ﷺ؟ هذا ما يستبين من سبب نزول سورة المنافقون، فصلها ابن كثير، فقال ما ملخصه: "إنه لما قدم النبي ﷺ المدينة بعد غزوة أحد قام عبد الله بن أبي والرسول ﷺ يخطب الجمعة، فقال أيها الناس، هذا رسول الله أكرمكم الله به.

فأخذ بعض المسلمين بثيابه من نواحيه وقالوا له: اجلس يا عدو الله، لست لهذا المقام بأهل، وقد صنعت . يعنون مرجعه بثلث الناس دون أن يشتركوا في غزوة أحد . فخرج يتخطى رقاب الناس، وهو يقول: والله لكأنما قلت بَجْراً أن قمت أشدد أمره .

فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا له: ويلك، ما لك؟ ارجع للنبي يستغفر لك رسول الله. فقال: والله ما ابتغي أن يستغفر لي، وفي رواية فجعل يلوي رأسه ويحركه استهزاء .

وفي غزوة بني المصطلق: كان غلام لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

(1) سورة النور، الآيات (١١ ـ ١٩) .

اسمه الجهجاه بن سعيد الغفاري تزاحم على ماء مع رجل من الأنصار اسمه سنان بن وبر .

فقال سنان: يا معشر الأنصار، وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين، فغصب بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم، وقال: أوقد فعلوها؟!!

قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا. والله ما مثلنا وجلابيب قريش . يعني المهاجرين . إلا كما قال القائل "سمن كلبك يأكلك" والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .

فذهب زيد إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر .

فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي أن أضرب عنق هذا المنافق .

وفي رواية: قال عمر يا رسول الله: مر عباد بن بشر فليضرب عنق عبد الله بن أبي بن سلول، فقال ﷺ: فكيف إذا الناس تحدث يا عمر أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا، ولكن ناد يا عمر في الناس بالرحيل .

فلما بلغ ابن سلول أن ذلك بلغ النبي ﷺ أتاه فاعتذر إليه وحلف بالله ما قال .

وراح رسول الله ﷺ مهجراً في ساعة لا يروح فيها ليشغل الناس عن الحديث .

ولما نزلت السورة بعث النبي ﷺ إلى زيد فقرأها عليه ثم قال:

"إن الله قد صدقك"[1].

يقول ابن إسحاق: "وبلغني أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بلغه ما كان من أمر أبيه، فأتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي ... فإن كنت فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر غيري بقتله، فلا تدعني نفسي أن أرى قاتل أبي يمشي على الأرض فأقتله، فأكون قد قتلت مؤمناً بكافر، فأدخل النار، فقال ﷺ: بل نترفق به ونحسن صحبته، ما بقي معنا" [2].

وذكر: أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة، وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي على باب المدينة، واستل سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه قال له: وراءك، فقال له أبوه: ويلك ما لك؟ فقال: والله لا تجوز من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل .

فلما جاء رسول الله ﷺ وكان يسير في مؤخرة الجيش شكا إليه عبد الله بن أبي ما فعله ابنه عبد الله معه، فقال ابنه: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله ﷺ . فقال عبد الله لأبيه:

---

(1) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج ٨ ص ١٢٨، ١٢٩، وذكر البخاري الحادثة بنصوص متقاربة في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد .. الآية، وباب: اتخذوا أيمانهم جنة .. الآية، وباب: وإذا قيل لهم تعالوا نستغفر لكم رسول الله، ج ٦ ص ١٥٢، ١٥٣، برقم: ٤٩٠٠، ٤٩٠١، ٤٩٠٢، ٤٩٠٤ .

(2) السيرة النبوية، لابن هشام، ج٢ ص ٢٩٤ .

أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فجز الأن [1] .

الرأي العام في قتل النبيﷺ للمنافقين:

ويتضح من سؤال عمر رضي الله عنه النبي ﷺ أن يقتل ابن سلول أو يأمر عباد بن بشر بقتله .

ومراجعة عبد الله بن عبد الله بن أبي للنبي في أن يتولى هو بنفسه قتل أبيه لما رأى وسمع من المسلمين أن مجازاة المنافقين في سوء طويتهم وأقوالهم وفعالهم يقتضي من الرسول ﷺ قتلهم والقضاء عليهم، دلالة على وجود رأي عام مستقر في ضمير الناس يظهر في بعض تعبيراتهم وأسئلتهم على ضرورة التخلص من المنافقين ورأسهم ابن سلول .

الفكر المقاصدي في عفو النبي عن المنافقين:

يتجلى لنا أمران في هذا الشأن:

الأول: أن عامة المنافقين لم يكن ما يتكلمون به من الكفر مما يثبت عليهم بالبينة، بل كانوا يظهرون الإسلام، ونفاقهم يعرف تارة بالكلمة يسمعها منهم الرجل المؤمن، فينقلها إلى النبي ﷺ، فيحلفون بالله ما قالوا، فضلاً عن فعالهم التي أبانها القرآن الكريم من تأخرهم عن الصلاة والجهاد واستثقالهم الزكاة وكان الرسول يعرفهم من لحن قولهم ولكنهم أظهروا الإسلام متخذين أيمانهم جنة، فكان الرسول ﷺ يقبل

(1) يراجع: التفسير الوسيط، ج١٤ ص ٤٠٧، ٤٠٨، الرحيق المختوم، ص ٢٦٧، ٢٦٨ .

علانيتهم وبأحوالهم هذه لم يكن للنبي ﷺ أن يقيم عليهم الحدود بعلمه بهم ولا بخبر الواحد ولا بمجرد الوحي حتى يثبت الموجب لإقامة الحد بالبينة أو الإقرار، فكان عدم ظهور الكفر منهم بحجة شرعية سبباً في ترك قتلهم .

وفي سيرته ﷺ معهم دلالة أن القاضي لا يحكم بمجرد علمه بل لابد من بينة ظاهرة يحتكم إليها .

قال ابن قدامة: ظاهر المذهب أن الحاكم لا يحكم بعلمه في حد ولا غيره، لا فيما علمه قبل الولاية ولا بعدها، هذا قول شريح، والشعبي، ومالك، وإسحاق، وأبي عبيد، ومحمد بن الحسن وهو أحد قولي الشافعي ...

وقال أبو حنيفة: ما كان من حقوق الله، لا يحكم فيه بعلمه، لأن حقوق الله تعالى مبنية على المساهلة والمسامحة [1] .

ولأن تجويز القضاء بعلمه يفضي إلى تهمة، والحكم بما اشتهى، أما في حقوق الأدميين فيكون حكم القاضي بالنظر والدلائل والسماع والشهادة وغيرها .

الثاني: أن النبيﷺ ترك عقابهم لمصلحة تأليف القلوب، وإخماد الفتنة ولعدم تنفير الناس عن الإسلام، فقد روى البخاري بسنده عن جابر رضي الله عنه، قال عبد الله بن أبي بن سلول: قد تداعوا علينا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: ألا نقتل يا

(1) المغني، لابن قدامة الحنبلي، مسالة حكم الحاكم بعلمه، ج ١٠ ص ٤٨ .

رسول الله هذا الخبيث؟ لعبد الله، فقال النبي ﷺ: ﴿ لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه ﴾[1] .

قال ابن القيم: والنبي ﷺ لما قيل له: ألا نقتلهم؟، لم يقل: ما قامت عليهم بينه، بل قال: لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه .

فالجواب الصحيح إذن: أنه كان في ترك قتلهم في حياة النبي ﷺ مصلحة تتضمن تأليف القلوب على رسول الله ﷺ، وجمع كلمة الناس عليه، وكان في قتلهم تنفير، والإسلام في غربة، ورسول الله ﷺ أحرص شيء على تأليف الناس، وأترك شيء لما ينفرهم عن الدخول في طاعته [2] .

فكان ﷺ يخشى أن يتولد من قتلهم من الفساد أكثر مما في استبقائهم، أو يغضب لقتل بعضهم قبيلته أو ناس آخرون ويكون ذلك سبباً في الفتنة. شاهد ذلك لما عرض سعد بن معاذ بقتل ابن سلول خاصم له أناس صالحون وأخذتهم الحمية حتى سكتهم رسول الله ﷺ .

وحتى لا يخاف من يريد الدخول في الإسلام أن يقتل مع إظهار إسلامه كما قتل غيره [3].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: ما ينهى من دعوة الجاهلية، ج ٤ ص١٨٣، برقم: ، وكتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ج ٦ ص ١٥٤، برقم: ٤٩٠٧ .

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٣ ص ٤٩٧ .

(3) يراجع في ذلك: لماذا لم يعاقب النبي ﷺ المنافقين، الإسلام سؤال وجواب ٢٠١٥/٨/٣١م، https://islamqa.info/ar/answers/234071/

إذاً فهناك مقصدان شرعيان في استبقاء النبي للمنافقين:

١ . عدم إقامة البينة على الكفر البواح .

٢ . تأليف القلوب وجمع الكلمة ودرء الفتنة .

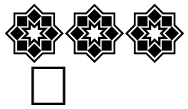

المطلب الثاني
صلح الحديبية

كان في شهر ذي القعدة آخر سنة ست للهجرة. وسببه أن النبي ﷺ أعلن في المسلمين أنه متوجه إلى مكة معتمراً، فتبعه جمع كبير من المهاجرين والأنصار بلغ عددهم ألفاً وأربع مئة تقريباً، وأحرم النبي ﷺ بالعمرة في الطريق، وساق معه الهدي ليأمن الناس من حربه وليعلموا أنه إنما خرج زائراً البيت ومعظماً له .

وأرسل النبي ﷺ وهو عند ذي الحليفة عيناً له من خزاعة فرجعت بخبر إن قريشاً جمعت لك جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك، فقال النبي: أشيروا علي أيها الناس، فقال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدّنا عنه قاتلناه، قال: امضوا على اسم الله .

ثم سلك النبي ومن معه طريقاً غير طريقهم وعراً بين الشعاب. ولما كان بثنية المرار بركت ناقته ولم تقم فقالوا خلأت القصواء، فقال ﷺ ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل، والذي نفس محمد بيده لا تدعوني قريش لخصلة فيها تعظيم حرمات الله إلا أجبتهم إليها .

ثم أمرهم النبي بالنزول أقصى الحديبية، وأرسلت قريش رسلاً واحداً تلو الآخر تسأل وتنظر سبب مجيء محمد، كلهم يرجعون إليهم بخبر سلمه وأمانه .

ثم إن الرسول ﷺ اختار عثمان بن عفان رسولاً إلى قريش يعلمهم مقصده ومعه عشرة من الصحب استأذنوا النبي في زيارة أقاربهم، فدخل عثمان في جوار أبان بن سعيد الأموي فبلغ ما حمل، فقالوا: إن محمداً لا يدخلها علينا عنوة أبداً ثم أنهم حبسوه فشاع عند المسلمين مقتل قريش عثمان، حينها قال ﷺ: (لا نبرح حتى نناجزهم الحرب).

ودعا الناس للبيعة على القتال فبايعوه تحت الشجرة على الموت، فشاع أمر البيعة في قريش فداخلهم منها رعب عظيم .

ولما تمت البيعة: انتهى إلى رسول الله ﷺ أن الذي بلغه من مقتل عثمان باطل .

وعندما خافت قريش أرسلت سهيل بن عمرو ليكلم الرسول ﷺ في الصلح وتم الصلح وكتبت شروطه وهي:

١ . وضع الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنوات .

٢ . من جاء المسلمين من قريش يردونه، ومن جاء قريشاً من المسلمين لا يُلزمون برده .

٣ . أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم يأتي العام المقبل بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش فيقيم بها ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السلاح إلا السيوف في القرب.

٤ . من أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه .

ولما فرغ ﷺ من الصلح والكتابة، أشهد على الكتاب رجالاً من

المسلمين والمشركين[1].

الرأي العام في مسألة الصلح:

١ ـ موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

في الصحيحين أن عمر بن الخطاب قال: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى، فقلا: ألست على حق وعدونا على باطل؟ قال: بلي، قلت: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قلت: فلماذا نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟، قال: بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه العام هذا؟قال: قلت: لا قال فإنك أتيه ومطوف به، قال: فأتيت أبا بكر فقتل: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟، قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا، قال: أيها الرجل إنه لرسول ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فو الله إنه على الحق، قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟، قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام، قلت: لا، قال: فإنك أتيه ومطوف به [2] .

وفي رواية: فما هو إلا أن نزلت سورة الفتح على رسول الله ﷺ

---

(1) يراجع في ذلك: الروض الأنف، ج ٤ ص ٣٢ ـ ٣٨، السيرة النبوية، لابن هشام، ج٢ ص ٣٠٩ وما بعدها، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مجلد (٥)، الباب الثاني والعشرون في غزوة الحديبية، ص ٣٣ وما بعدها .

(2) البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج٣ ص ١٩٣، برقم: ٢٧٣١ .

فأرسل إلى عمر فأقرأه إياها. فقال: يا رسول الله. أو فتح هو؟! قال: نعم، فطابت نفسه ورجع [1] .

قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً .

٢ ـ موقـف الصحابة بعد الصلــح:

فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه قوموا فانحروا ثم أحلقوا، قال عمر: فو الله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك، أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً غماً [2] .

البيـان التحليلـــي:

. لقد عز على الصحب الكرام رجوعهم إلى المدينة بعدما عزموا أمرهم وساقوا هديهم لأداء العمرة وزيارة البيت الحرام .

كما ظهرت معارضة شديدة بين المسلمين لشروط الصلح مع قريش خاصة البندين اللذين يلتزم النبي ﷺ بموجبهما برد من جاء من المسلمين

---

(١) صحيح مسلم، باب: الجهاد والسير، كتاب: صلح الحديبية في الحديبية، ج٣ ص ١٤١١، برقم: ٩٤ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، ج٣ ص ١٩٣، برقم: ٢٧٣١ .

لاجئاً، ولا تلتزم قريش برد من جاءها من المسلمين مرتداً، والبند الذي يقضي بأن يعود المسلمون من الحديبية إلى المدينة دون أن يدخلوا مكة ذلك العام، وقد كان أشد الناس معارضة لهذه الاتفاقية وانتقاداً لها عمر بن الخطاب كما بُين، وأسيد بن حضير سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج .

وقد كان الصديق ناصحاً أميناً للفاروق بأن يترك الاحتجاج والمعارضة بقوله: الزم غرزه، فإني أشهد أنه رسول الله وأن الحق ما أمر به، ولن يخالف أمر الله ولن يضيعه الله [1].

. والصحب الكرام ما كانوا يلوون أنفسهم عن النبي ﷺ كرهاً ولا عصياناً، بل كانوا يتبادرون إلى طاعته انطلاقاً من محبته، وشاهد ذلك من موقف الحديبية حينما أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف ليتفاوض مع النبي في أمر الرجوع إلى المدينة. وأراد أن يبث في النبي وصحبه هزيمة نفسية من كثرة عدد قريش وعتادها وأن أصحابه ﷺ سوف ينكشفون عنه ويسلموه، فما كان من الصديق إلا أن أغلظ له القول ونال منه .

وحينما حاول عروة مس لحية النبي أثناء حديثه معه فقرع المغيرة يده إذا أراد ذلك، ثم إنه رأى ما يصنع الصحب الكرام بالرسول ﷺ ونقله إلى قريش فقال: لا يتوضأ محمد وضوءً إلا كادوا يقتتلون عليه يتمسحون به، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، ولا يحدون النظر إليه، فقال: والله يا معشر قريش جئت كسرى في ملكه وقيصر في عظمته، فما رأيت ملكاً في قومه

(1) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د/ مُحَمَّد علي الصلابي، ج٢ ص ٨٣٢ .

مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً[1].

فإذا كان هذاحال الصحب الكرام مع رسول الله، فيكف إذا اجتمع رأيهم العام على عدم قبول الصلح كله أو بعضه، وإحجامهم عن التحلل من العمرة وذبح الهدي وقفولهم إلى مكة بعدما أمرهم النبي بذلك ثلاث مرات .

إنها المفاجئة وتهيئ النفس لغير ذلك واشتياقهم لزيارة البيت وإظهار قوتهم برسول الله ﷺ، وذلك بمنطق النفس البشرية والعقل الإنساني: ظانين بذلك أن الأمر له عودة، فلما رأوا عزم النبي ﷺ في حسم الجدل والتحلل من العمرة من ذبح هديه وحلق رأسه تبادروا جميعاً إلى التأسي به ﷺ وطاعة أمره، وتغير رأيهم إلى طاعة وانقياد .

الفكر المقاصدي النبوي في صلح الحديبية:

١ . النبي ﷺ مؤيد بالوحي من الله تعالى وأمره ونهيه بلاغ عن ربه تعالى، قال تعالى:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾[2].والمؤمنون يقدمون أمره ونهيه ﷺ على فكرهم وحظ نفوسهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦ ﴾[3] .

والذي يظهر لنا أن أمر صلح الحديبية إنما هو بأمر الله تعالى

---

(١) يراجع: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ/ مُحَمَّد الخضري، ص ١٩٤ .

(٢) سورة النجم، الآية (٣) .

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٣٣) .

تتجلى منه حكمة الثبات على الإيمان والطاعة لله ورسوله .

٢ . هناك مقاصد أخرى أظهرت حكمة النبي في أفضيلة الصلح والرجوع عن زيارة البيت ومنازلة قريش، منها [١]:

أ . دخول المسلمين مكة بالقوة يعني حدوث سفك دماء وإزهاق أرواح من كلا الطرفين، فمن مصلحة الفريقين منع ذلك، وقد كان الرسول ﷺ حريصاً على السلام فقد قال: (والذي نفسي بيده، لا يسالوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها) [٢].

ب . إن من المحتمل أن ينال الأذى والقتل والتشريد على أيدي المؤمنين بعض المستضعفين من إخوانهم من المسلمين في مكة، وهذا فيه من المعرة ما لا يليق بمسلم، قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [٣] .

ج . بالهدنة التي في بنود الصلح، يضمن حياد قريش ويعزلها عن أي صراع يحدث في الجزيرة العربية سواء كان هذا الصراع من القبائل العربية

---

(١) يراجع: السيرة النبوية، الصلابي، ص ٨١٢ وما بعدها .

(٢) البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، ج٣ ص ١٩٣، برقم: ٢٧٣١.

(٣) سورة الفتح، الآية (٢٥) .

الأخرى أو مع اليهود .

د . حرص الرسول ﷺ على أن يبقى الاتصال مفتوحاً بينه وبين قريش، ليسمع منهم ويسمعوا منه بواسطة الرسل والسفراء، وفي هذا تقريب للنفوس وإضعاف حماسهم نحو القتال وفتح باب الدعوة والبلاغ .

هـ . أن العقلاء الذين يفكرون بعقولهم حين يسمعون كلام الرسول ﷺ وأنه جاء معظماً للبيت، والمشركون يردونه، وهو يصر على تعظيمه، سيقف هؤلاء بجانبه ويتعاطفون معه فيقوي مركزه، ويضعف مركز قريش الإعلامي والديني في نفوس الناس .

و . ومن المقاصد النبوية والحكم الباهرة في صلح الحديبية أنه كان باباً ومفتاحاً لفتح مكة ولئن لم ينتبه المسلمون لهذا في حينه، فذلك لأن المستقبل غائب عنهم .

فقد اختلط المسلمون بالكفار بعد عقد الصلح وهم في أمان, ودعوهم إلى الله وأسمعوهم القرآن ولم يُكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً ،لا دخل فيه، ودخل في سنتين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك بل أكثر .

فقد خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية في ألف وأربعمائة، ثم خرج عام فتح مكة بعد عامين في عشرة آلاف، وهذا ما بشر به رسول الله ﷺ أصحابه أثناء رجوعه إلى المدينة بعد عقد المعاهدة والصلح حينما قال: أُنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾[1] .

(1) سورة الفتح، الآية (١) .

قال ابن مسعود ﷺ: (إنكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية) [1].

ولا يفوتني في هذا المقام بيان دروساً هامة في الدعوة الإسلامية:

١ . قاعدة احترام المعارضة النزيهة، حيث قرر النبي ﷺ ذلك بقوله وفعله مع سيدنا عمر ﷺ، وإنما أراد النبي بهذا الفعل إرشاد القادة من بعده إلى احترام المعارضة النزيهة من أتباعهم وذلك بتشجيعهم على إبداء الآراء السليمة التي تخدم المصلحة العامة .

٢ . أهمية الشورى حينا استشار النبي ﷺ أم سلمة فأشارت على النبي برأي موفق ومشورة مباركة، ومن ذلك دليل على أن استحسان مشاورة المرأة الفاضلة مادامت ذات فْكر صائب ورأي سديد، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[2]

٣ . أهمية القدوة العملية، فحينما دعا الرسول ﷺ صحبه إلى التحلل وكرر ذلك ثلاثاً وفيهم أكابر الصحابة ولم يستجيبوا، قدم النبي على الخطوة العملية التي أشارت عليها بها أم المؤمنين أم سلمة فتحقق المراد، دلالة على أن القدوة في مثل هذه المواقف وفي حياة الداعية عامة أنفع الوسائل وأعظمها أثراً في القبول والمحاكاة .

---

(١) –الفتح الرباني لترتيب مسند افمام أحمد بن حنبل الشيباني، القسم الثالث من الكتاب فيما يختص بالقرآن، ج١٨ص ٢٧٥ .

– صلح الحديبية دروس وعبر، موقع إسلام ويب، مقالات، السيرة النبوية، من بدر إلى الحديبية ٢٠١١١/١/١١م، https://www.islamweb.net/ar/article/1

(٢) سورة الشورى، الآية (٣٨) .

المطلب الثالث

توزيـع الغنائم في حنـين

بعد أن كتب الله النصر للمسلمين يوم حنين بعد أن كادت أن تكون الغلبة للمشركين، غنم المسلمون يومئذ غنائم كثيرة .

. فرأى النبي ﷺ أن يقسمها بين الأعراب والطلقاء تأليفاً لقلوبهم ولحداثه عهدهم بالإسلام .

فأعطى النبي ﷺ زعماء قريش وغطفان وتيم عطايا كثيرة، فأعطى مائة من الإبل لكل من: أبي سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس، ومعاوية ويزيد ابني أبي سفيان، وقيس بن عدي، وأعطى دون المائة رجالاً أخر من قريش [١] .

وكانت وجهة نظر النبي بهذه العطايا هو تحويل قلوبهم من حب الدنيا إلى حب الإسلام، قال أنس بن مالك: (إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها) [٢] .

هذا وتأليف القلوب بالعطاء معلوم، فالمرء أسير النعمة وصاحبها:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسانٌ

---

(١) يراجع: الروض الأنف، ج ٤ ص ١٥٤ .

(٢) مسلم، باب: الفضائل، كتاب: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه، ج ٤ ص ١٨٠٦، برقم: ٥٨.

وعبر عن هذا صفوان بن أمية بقوله: (لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى أنه لأحب الناس إليّ) [1] .

الرأي العام للأنصار في الحادثة:

وقد تأثر من هذا العطاء حدثاء الأنصار حسب طبيعتهم البشرية وترددت بينهم مقالة: إذا كانت الحرب والبأس دعي الأنصار، وإذا كانت الغنيمة والفيء لم يعط الأنصار شيء، وتكون لديهم رأي عام تجاه قسمة النبي ﷺ .

قال ابن هشام: عن أبي سعيد الخدري، قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لقد لقى والله رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟. قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي. قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة. قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة. قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم. فدخلوا، وجاء آخرون فردهم؛ فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم

(1) السابق نفس الكتاب والباب والجزء والصفحة، برقم: ٥٩ .

رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: يا معشر الأنصار: ما قالة بلغتني عنكم؛ وجدة وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم! قالوا: بلى، الله ورسوله أمنُّ وأفضل، ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل. قال ﷺ: أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن تذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار. قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرقوا [1] .

وبزيادة في رواية مسلم (أنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) [2] .

(1) الروض الأنف، ج ٤ ص ١٥٦، ١٥٧، سيرة بن هشام، ج ٢ ص ٤٩٨، ٤٩٩ .

(2) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه، ج ٢ ص٧٣٨، برقم: ١٣٩ .

الفكر المقاصدي النبوي تجاه رأي الأنصار:

لقد تكون عند حدثاء السن من الأنصار رأي عام حينما طفق الرسول ﷺ يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله! يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، غير راضين بهذه القسمة طالبين بحقهم في الغنيمة، أما مشيخة الأنصار وفقهاؤهم فلم يقولوا شيئاً .

فكان جواب النبي عليهم بعد أن جمعهم، جواباً على هذه الوساوس، ليفيض بمعاني الرقة ومشاعر المحبة الشديدة للأنصار، ويفيض في الوقت ذاته بدلائل التألم من أن يتهم من قبل أحب الناس إليه بنسيانهم والإعراض عنهم .

جواب ضمنه أدق خفقات قلبه وألطف إحساسه ﷺ فلامس بذلك مشاعر الأنصار وهزها، ونفض منه كان قد علق بها من الوساوس والهواجس، فارتفعت أصواتهم بالبكاء فرحاً بنبيهم وابتهاجاً بقسمتهم ونصيبهم [1] .

- **أما المقصد الشرعي في عطاء كبراء قريش، فهو إغراؤهم وتشجيعهم بالعطاء حتى يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم ويذوقون حلاوته .**

يوضح الشيخ/ محمد الغزالي حقيقة هذا الأمر ي مثال محسوس فيقول: (...أن في الدنيا أقواماً كثيرين يقادون إلى الحق من بطونهم لا

(1) ينظر: فقه السيرة، البوطي، ص ٢٩٤ .

من عقولهم، فكما تهدى الدواب إلى طريقها بحزمة برسيم تظل تمد إليه فمها حتى تدخل حظيرتها آمنة، فكذلك هذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون الإغراء حتى تستأنس بالإيمان وتهش له) [١] .

وبمثل هذه الواقعة وغيرها من نماذج عطايا الرسول لتأليف القلوب، يرسم النبي ﷺ منهاجاً للأئمة والدعاة أن العطاء أقرب طريق لتأليف القلوب وقبول الدعوة، وأمن المكر، ودفع الشر وإقامة المصلحة .

بل إنه قد يتعين على الإمام أن يتألف أعداءه لاستجلابهم إليه، ودفع شرهم عن المسلمين .

يقول ابن القيم: "الإمام نائب عن المسلمين يتصرف لمصالحهم، وقيام الدين، فإنه يتعين ذلك . أي التأليف . للدفع عن الإسلام، والذب عن حوزته، واستجلاب رؤوس أعدائه إليه ليامن المسلمون شرهم، ساغ له ذلك، بل يتعين عليه ... فإنه وإن كان في الحرمان مفسدة، فالمفسدة المتوقعة من فوات تأليف هذا العدو أعظم، ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناها، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناها، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الأصلين" [٢] .

إذا فهناك مقصدان شرعيان للنبي ﷺفي قسمته:

الأول: تشجيع القرشيين والطلقاء وتحبيبهم في الإسلام بالعطاء .

الثاني: تأليف قلوبهم وتصفية نواياهم من الشر والحقد على

---

(١) فقه السيرة، مُحَمَّد الغزالي، ص ٤١٥ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، فصل في العطاء الذي أعطاه ﷺ لقريش والمؤلفة قلوبهم،ج٣ ص ٤٢٥، ٤٢٦ .

الإسلام ليأمن المسلمون شرهم من باب الدفع عن الإسلام والذب عن حياضه .

وذلك كله بعد استيثاق النبي ﷺ من ثبات الأنصار وحبهم لله ورسوله ودينه الذي هو أعظم من حبهم للدنيا لما في قلوبهم من الخير والغنى .

روى البخاري عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال: ﴿ أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين، فكأنهم عتبوا عليه، فقال: إني أعطي قوماً أخاف هلعهم وجزعهم، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب، فقال عمرو بن تغلب: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمْر النَّعم ﴾[1] .

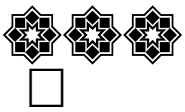

(1) صحيح البخاري، كتاب: فرض الخمس، باب: ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ج ٥ ص ٩٣، برقم: ٣١٤٥ .

المبحث الرابع

الفكر المقاصدي في قبول النبي ﷺ قضايا الرأي العام

المطلب الأول

غـــزوة أحـــد

وسببها أن بقية من زعماء قريش ممن لم يقتلوا في غزوة بدر، اجتمع رأيهم على الثأر لقتلاهم في بدر، وأن يستعينوا بعير أبي سفيان وما فيها من أموال لتجهيز جيش قوي لقتال رسول الله ﷺ فاجتمعت كلمة قريش على ذلك، وانضم إليهم غيرهم أيضاً ممن يسمون بالأحابيش، واستعانوا بعدد كبير من النسوة كي يمنعن الرجال من الفرار إذا أحدق بهم المسلمون، وخرجوا من مكة وقد بلغوا ثلاثة آلاف مقاتل [1].

الرأي العام للقاء العدو بعد مشاورة النبي أصحابه في الخروج:

بعد أن جمع النبي ﷺ المعلومات الكاملة عن جيش كفار قريش جمع أصحابه وشاورهم في البقاء بالمدينة والتحصن فيها أو الخروج لملاقاة المشركين .

رأي النبي ﷺ:

رأى النبي أفضلية البقاء بالمدينة وقال: إنا في جُنة حصينة، فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها،ووافق رأيه ﷺ رأي عبد الله بن أبي بن سلول، الذي رجع بثلث الجيش بعدما نزل الرسول على رأي الأكثرية في الخروج [2] .

---

(1) فقه السيرة النبوية، مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي، ص ١٧٣ .

(2) انظر: السيرة النبوية، الصلابي، ص ٦١١، الروض الأنف، ج ٣ ص ١٤٩ .

وكانت وجهة النظر النبوية في البقاء بالمدينة مبنية على التخطيط الحربي الآتي[1]:

أ . أن جيش مكة لم يكن موحد العناصر، فيستحيل عليه البقاء زمناً بدون خلاف.

ب . أن مهاجمة المدن المصممة على الدفاع عن حياضها وقلاعها أمر صعب النوال خاصة إذا تشابه السلاح عند كلا الجيشين .

ج . استبسال أهل المدينة في الدفاع عنها إذا كان فيها نساؤهم وأبناؤهم .

د . بمشاركة النساء والأطفال في القتال يزداد به عدد المقاتلين من المسلمين .

هـ . سهولة تناول صفوف العدو من بعيد وسهولة الاحتراز منهم .

رأي عمـــوم المسلمين:

قال ابن كثير: وأبى كثير من الناس إلا الخروج إلى العدو ولم يتناهوا إلى قول رسول الله ﷺ ورأيه، ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك، ولكن غلب القضاء والقدر، وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدراً، قد علموا الذي سبق لأهل بدر من الفضيلة [2] .

وقال ابن إسحاق: فلم يزل الناس برسول الله ﷺ الذي كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله ﷺ بيته، فلبس لأمته،

---

(1) يراجع: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص ٣٧٤، نقلاً عن كتاب: السيرة النبوية، للصلابي، ج٢ ص ٦١٢.

(2) البداية والنهاية، أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، ج ٤ ص ١٤ .

فتلاوم القوم فقالوا: عرض نبي الله ﷺ بأمر وعرضتم بغيره، فاذهب يا حمزة فقل لنبي الله ﷺ: أمرنا لأمرك تبع فأتى حمزة فقال له: يا نبي الله أن القوم تلاوموا، فقالوا: أمرنا لأمرك تبع، فقال رسول الله ﷺ: إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل [١] .

ولقد بنى أصحاب رأي الخروج رأيهم على أمور وهي[٢]:

١ . أن الأنصار قد تعاهدوا في بيعة العقبة الثانية على نصرة الرسول ﷺ فكان أغلبهم يرى أن المكث داخل المدينة تقاعس عن الوفاء بهذا العهد .

٢ . أن المهاجرين يرون أنهم أحق من الأنصار في الدفاع عن المدينة من مهاجمة قريش .

٣ . أن من فاتتهم غزوة بدر كانوا يتحرقون شوقاً للقاء الأعداء طمعاً في إحدى الحسنين كالبدريين .

٤ . أنهم كانوا يرون في حصار قريش للمدينة ظفراً لأهل مكة لا يستأهلونه .

٥ . أنهم كانوا يتوقعون طول وقت الحصار فيصبحون مهددين بقطع المؤن عنهم .

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، ج٢ ص ٦٣، الروض الأنف، ج٣ ص ١٤٩، صحيح البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: وأمرهم شورى بينهم، ج ٩ ص ١١٢ .

(٢) يراجع: السيرة النبوية، الصلابي، ص ٦١٢ بتصرف .

الفكر المقاصدي في نزول الرسول على راي الأغلبية:

١ ـ تقرير مبدأ التشاور وإلزام المشورة:

من المعلوم أن الرسول ﷺ ربىّ أصحابه على التصريح بآرائهم عند مشاورته لهم حتى ولو خالفوا رأيه، فهو إنما يشاروهم فيما لا نص فيه تعويداً لهم على التفكير في الأمور العامة ومعالجة مشكلات الأمة .

فإن التشاور أمر معلوم من الدين، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1].

فإذا رأى النبي إجماعاً أو شبهة من المسلمين على رأى وأصبح رأياً عاماً مال النبي إلى ذلك الرأي ما لم يكن في الأمر تشريع أو بيان سماوي .

ثم أخذ به ورجح رأي الجماعة، وبذلك يفصل النبي أمر المشورة بنفاذ رأي الجماعة والتي يكون رأيها ملزماً بعد فصل النبي فيه .

وبذلك يتضح لنا مقصدان:

١ . مقصد الأخذ بالمشورة ملزم للإمام، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[2] .

٢ . مقصد عدم التردد بعد الفصل في المشورة، الشروع في التنفيذ وهذا من صفات القيادة الناجحة .

---

(١) سورة الشورى، الآية (٣٨) .

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٥٩) .

فإن التردد بعد العزيمة يزعزع الثقة ويثير الفوضى، حيث قالﷺ: إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل .

المطلب الثاني

لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم، قال: فإلى أين؟، قال: ها هنا وأشار إلى بني قريظة فخرج النبي ﷺ إليهم) [1] .

فانتدب النبي ﷺ أصحابه إلى الخروج لقتال بني قريظة ونهزهم بتعجيل الوصول إليهم .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي ﷺ لنا: (لما رجع من الأحزاب لا يصلين أحدٌ العصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتي نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم)[2] .

الرأي العام في الحادثة:

لما أنهض النبي ﷺ صحبه نحو بني قريظة سراعاً للقائهم

([1]) البخاري، كتاب: المغازي، باب: مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه، ج٥ ص ١١١، برقم: ٤١١٧ .

([2]) البخاري، كتاب: المغازي، باب: مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه، ج٥ ص ١١٢،برقم: ٤١١٩ .

والنيل منهم ليكتمل النصر للمؤمنين وكان ذلك قبل صلاة العصر، أبان لهم مدى طلبه لهم بالإسراع فقال: لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة .

ففهم بعضهم مراد النبي ﷺ ونفذ بعضهم منطوق النبي ﷺ. وتكون لكل فريق رأي عام مؤقت نحو تطبيق الأمر .

فأخذ بعض الصحابة بمفهوم لفظ النبي ومعناه، وتكون لديهم رأي عام مفاده الإسراع والتعجيل فصلوا العصر في الطريق قبل وصولهم بني قريظة مخافة فوات وقت الصلاة ... وأخذ بعضهم بظاهر نص حديث النبي ومنطقوه فتكون عندهم رأي عام وهو التنفيذ للأمر، فلم يصلوا العصر إلا في بني قريظة بعد أن دخل الليل .

وكلا الفريقين مصيب في رأيه واجتهاده ولم يعنف النبي ﷺ أحداً على ما أرتأى وفعل .

الفكر المقاصدي النبوي في الحادثة:

بعد اختلاف الصحابة في الفهم والعمل لحديث الرسول ﷺ وعدم تعنيف النبي ﷺ لهم فيما فعل كل فريق، يتبين لنا بعض المقاصد النبوية وهي:

١ ـ تقرير مبدأ الخلاف في الفروع .

يقول الشيخ/ البوطي: "وفي اختلاف الصحابة في فهم كلام رسول الله ﷺ: "ألا لا يصلين أحدً العصر إلا في بني قريظة" مع عدم

تعنيف النبي ﷺ أحداً منهم أو معاتبته، دلالة هامة على أصل من الأصول الشرعية الكبرى، وهو تقرير مبدأ الخلاف في مسائل الفروع، واعتبار كل من المخالفين معذوراً ومثاباً، وفيه ما يدل على أن استئصال الخلاف في مسائل الفروع التي تنبع من دلالات ظنية أمرٌ لا يمكن أن يتصور أو يتم .... وأن السعي في محاولة القضاء على الخلاف في مسائل الفروع معاندة للحكمة الربانية والتدبير الإلهي في تشريعه، عدا أنه ضرب من العبث الباطل" [١] .

٢ . أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث نبوي أو آية من كتاب الله، كما لا يعاب على من استنبط من النص معنى يخصه .

٣ . أن المختلفين في الفروع من المجتهدين لا أثم على المخطئ، قال ﷺ: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) [٢].

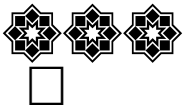

(١) يراجع: فقه السيرة، السيوطي، ص ٢٢٦ بتصرف .

(٢) البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ج٩ ص ١٠٨، برقم: ٧٣٥٢.

الخاتمـــة

أهـم نتائج البحث:

١ . أن النبي ﷺ لا يتعامل مع ظاهرة الرأي العام من منطلق الترضية لأصحاب الرأي فحسب أو المصلحة الشخصية لفئة معينة، إنما من منطلق الوحي الإلهي والبلاغ عن الله ﷻ .

فإذا كان في المسألة وحيً إلهي، أو إلهام نبوي وكان في ظاهره معارض لرأي الصحابة عمل به النبي ﷺ وأقره وأفهم به أصحابه وظهرت حكمته لهم بعد حين قريب.

٢ . إذا كان في نزول النبي ﷺ على راي الجماعة جمعاً للشمل، وتأليفاً للقلوب وفيه مصلحة ظاهرة، ولم يكن فيه تدخل سماوي، عمل النبي برأي الجماعة إيثاراً لحقها.

٣ . ربى النبي أصحابه وأبان للدعاة بفكره المقاصدي تجاه الرأي العام تقرير المبادئ التالية:

أ . الخلاف في الفروع حكمة ربانية وتشريعية .

ب . احترام المعارضة النزيهة التي تخدم المصلحة العامة .

ج . التصريح بالرأي والتشاور وإلزام العمل بالمشورة بعد الفصل فيها .

د . إقامة الحدود بالبينة الظاهرة .

هـ . تأليف القلوب بالعطاء أقرب طريق لقبول الدعوة وأمن المكر وإقامة المصلحة

و . أهمية القدوة العملية في الأثر والتأسي .

ز . الثبات على الإيمان والطاعة لله ولرسوله ﷺ .

التوصيـــات:

١ . توجيه الاهتمام بدراسة قدر صالح من الفكر المقاصدي بالكليات الشرعية .

٢ . توجيه مزيد الاهتمام بالدراسات العلمية في مجال الفكر المقاصدي .

٣ . ضرورة عناية الدعاة والمرشدين بقضايا الرأي العام لما لها من قوى التأثير على المجتمع، والتعامل معها بالتوجه الأمثل .

٤ . على القائمين بشؤون الدعوة في العالم الإسلامي تطبيق نتائج أبحاث الفكر المقاصدي في المجال الدعوي .

٥ . الاسترشاد في وضع المخططات الدعوية بالفكر المقاصدي في العهد النبوي وفي العصور الأولى للإسلام .

المراجـــع

(١) الاجتهاد المقاصدي: حجيته، وضوابطه، مجالاته، نور الدين بن محمد الخادمي، كتاب الأمة، العدد (٦٦)، رجب ١٤١٩هـ، السنة الثامنة عشرة، ج/ ٢، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، قطر .

(٢) الأزمة الفكرية المعاصرة، تشخيص ومقترحات علاج: د/ طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

(٣) أساسيات الرأي العام: د/ محمد منير حجاب، دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

(٤) البداية والنهاية: أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٠م .

(٥) التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٦) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

(٧) حاجة المجتهد إلى الاجتهاد المقاصدي: د/ ماهر حامد محمد الحولي، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

(٨) الرأي العام، كيف يقاس، كيف يساس: د/ محمد عبد القادر حاتم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٧١م .

(٩) الرأي العام الإلكتروني: د/ فتحي حسين عامر، دار النشر للجامعات، ٢٠١٢م .

(١٠) الرأي العام بين الكلمة والمعتقد: د/ جمال سلامة علي، دار

النهضة العربية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م .
(١١) الرأي العام: شاهيناز طلعت، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٨٣م .
(١٢)الرأي العام، الأسس النظرية والجوانب المنهجية: د/ سمير محمد حسين، عالم الكتب، ط. أولى، ١٩٩٧م .
(١٣) الرأي العام، مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة: د/ سعيد سراج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، الطبعة الثانية .
(١٤) الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري (ت ١٤٢٧هـ)، دار العصماء، دمشق، الطبعة الولى، ١٤٢٧هـ .
(١٥) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية: لابن هشام، للفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي (ت ٥٨١هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون .
(١٦) زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة (٢٧)، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .
(١٧) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .
(١٨) السيرة النبوية: لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت٢١٣هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط. الثانية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م .
(١٩) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث: د/ علي محمد محمد الصلابي، مكتبة فياض، ١٤٢٨هت/ ٢٠٠٧م .
(٢٠)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار

العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

(٢١) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .

(٢٢) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون .

(٢٣) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (ت ١٣٧٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

(٢٤) فقه السيرة النبوية: د/ محمد سعيد رمضان البوطي، دار السلام، ط (٢١)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .

(٢٥) فقه السيرة: محمد الغزالي، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

(٢٦) الفكر المقاصدي قواعده وفوائده: د/ أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م .

(٢٧) القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط/٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

(٢٨) لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ .

(٢٩) مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، المكتبة العصرية، الدار النموذجية،

بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .
(٣٠) مدخل إلى الإعلام والرأي العام: د/ محمد بعد الملك المتوكل، مكتبة الأنجلو المصرية .
(٣١) مذكرات في الرأي العام، تعريفه، ومفاهيمه، أنواعه وخصائصه، مشكلات قياسه، بحوثه ومناهجه: د/ سمير محمد حسين، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م .
(٣٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت .
(٣٣) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م .
(٣٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .
(٣٥) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، ط. الرابعة .
(٣٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .
(٣٧) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .
(٣٨) المغني: لابن قدامه، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٦٨م .
(٣٩) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: علال الفاسي، دار الغرب

الإسلامي، ط/٥، ١٩٩١م .

(٤٠) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخواجة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

(٤١) الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي أبو إسحاق، دار ابن عفان .

(٤٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: محمد الخضري، تحقيق وتعليق: نايف العباس، محيي الدين مستو .

(٤٣)سمير مثنى على الأبارة شبكة الألوكة الثقافية، ٢٠١٦/١٠/٢٩م، https://www.alukah.net/culture/0/108911/

(٤٤)ما الفكر ا لمقاصدي: طارق يوسف المحيميد، www.feqhweb.com/vb/showthread.php?t=7638 ، الشبكة الفقهية ٢٠٠٥/١١/١٠م

(٤٥)الفكر المقاصدي، مفهومه وضرورته، ومقوماته، د/ عبد الصمد المساتي، منار الإسلام، ١٧ مايو ٢٠١٨م، Islamanar.com/archives/912

(٤٦)مفهوم الرأي العام، مجد خضر، موضوع أكبر موقع عربي بالعالم ٢٠١٦/٤/١٠م، https://mawdoo3.com/

(٤٧)الرأي العام public opinion، محمد تهامي، الموسوعة السياسية، https://political-encyclopedia.org/dictionary/

(٤٨)المنافقون في المدينة، أسامة بدوي ١٠١٧/٢/٣م، شبكة الألوكة الشرعية، https://www.alukah.net/sharia/0/111995/

(٤٩) لماذا لم يعاقب النبي ﷺ المنافقين، الإسلام سؤال وجواب ٢٠١٥/٨/٣١م،

https://islamqa.info/ar/answers/234071/

(٥٠)- صلح الحديبية دروس وعبر، موقع إسلام ويب، مقالات، السيرة النبوية، من بدر إلى الحديبية ٢٠١١١/١/١١م، https://www.islamweb.net/ar/article/1

فهرس الموضوعات

المحتويات

ملخص: ١٠٥
المقدمـــــة ١٠٨
مشكلـة البحـث: ١٠٩
أهميـة البحـث: ١٠٩
أهداف البحـــث: ١١٠
تسـاؤلات البحـــث: ١١٠
منهـج البحـــث: ١١١
الدراسات السابقة ١١٢
خطـة البحـث: ١١٣
المبحث الأول ١١٥
المطلب الأول :تعريـف الفكـــر: ١١٦
المطلب الثاني : مقومات الفكر المقاصدي: ١٢٤
المبحث الثانـي ١٢٧
تعريـف الرأي العـام: ١٢٧
تعريـف الرأي العام: ١٢٨
المبحث الثالث ١٣٦
المطلب الأول ١٣٦
الرأي العام في قتل النبيﷺ للمنافقين: ١٤٣
الفكر المقاصدي في عفو النبي عن المنافقين: ١٤٣
المطلب الثانـي ١٤٧
صلـح الحديبيـة ١٤٧
الرأي العام في مسألة الصلح: ١٤٩
الفكر المقاصدي النبوي في صلح الحديبية: ١٥٢
المطلب الثالث ١٥٦
توزيـع الغنائم في حنـين ١٥٦
الفكر المقاصدي النبوي تجاه رأي الأنصار: ١٥٩

المبحث الرابع ١٦٢
المطلب الأول ١٦٢
غـزوة أحـد ١٦٢
الفكر المقاصدي في نزول الرسول على راي الأغلبية: ١٦٥
المطلب الثاني ١٦٦
لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة ١٦٦
الخاتمـــة ١٦٩
أهم نتائج البحث: ١٦٩
التوصيـات ١٧٠
المراجـــع ١٧١
فهرس الموضوعات ١٧٧